

الملف

دنيز مشنتف

هدى رزق: ضرب للمحرّمات الإجتماعية
تفسير سلوك المحتجين في ساحات لبنان

تميز المشهد الاخير بمحتجين في الساحات اعتمدوا سلوكيات لم يألفها اللبنانيون حتى في عز التظاهرات التي كانت تعم الشوارع، من دون انقطاع قبل اندلاع الحرب عام 1975. المفارقة بين الامس واليوم هي في الاسلوب الاحتجاجي الذي تميز بالرقى ما قبل الحرب، فيما بات السلوك العنفي حاليا ملازما للبنانيين حتى في قضاياهم المحققة

ما ينطبق تماما على تفاصيل يوميات المتظاهرين في ساحات لبنان اخيرا، رؤية البروفسور الاميركي جين شارب حول الثورات الملونة الذي وضع دليل عمل لها، معتبرا ان الشباب وقودها. الاسلوب الذي وضعه يعتمد على شق القوى الامنية باعتماد سلاح السخرية، وتوزيع الورد على الجنود، وعزف الموسيقى والرقص، واغلاق الطرقات، ودفع الحسناوات والاطفال والعجائز والمتقاعدین العسكريين الى الميادين العامة، والطرق على الطناجر.

لتفسير سلوك المحتجين الذين صنعوا المشهد اللبناني الاخير تعبيرا عن مطالبهم، حاورت "الامن العام" الباحثة في علم الاجتماع السياسي الدكتورة هدى رزق.



احتجاج بالطناجر.

■ اذا بحثنا عن تفسير علمي لسلوك المحتجين باعتمادهم اساليب العنف وقطع الطرقات وحرق الاطارات والتدقيق في الهويات على الحواجز النقالة والقرع على الطناجر للتعبير عن مطالبهم، ماذا تقولين في هذا المجال، والى اين ستأخذنا هذه السلوكيات؟

□ بعد عشرة ايام من انطلاق الحركة الذي شهدته الساحات في لبنان في الاونة الاخيرة، خرقت قوى ميليشوية وحزبية جسمه من خلال محاولتها حرف الحركة عن مطالبه، فضاعت المطالب الاقتصادية والاجتماعية بسبب عدم فصلها عن تلك السياسية، وساد الشعب وقطع الطرقات، وسادت العدمية من الحراكين الاوائل، وانفصل قسم منهم لعدم صياغة البرنامج الذي يفترض متابعته بسبب الفوضى التي كانت سائدة. لكن اذا اردنا تفسير هذه السلوكيات التي اعتمدها

الشباب الحراكي الذي رفض تسمية ما قام به بالحراك فاعتبرها ثورة، علينا تجزئتها الى قسمين:

- رأى هؤلاء الشباب عبر شاشات التلفزيون وبواسطة الانترنت كيف تكونت الثورات الملونة، وشاهدوا احداث الربيع العربي وشعاراته واملوا خيرا في الانتفاضة التي قامت في السودان، فاعتبروا انهم يستطيعون بعنادهم واصرارهم فعل ما فعله الشعبان المصري والتونسي. لا ننسى ان هذا الجيل هو جيل الثورة التكنولوجية يستقي معلوماته من هذه الوسائل التي لعبت ادوارا كبيرة في انتفاضات الربيع العربي، لذلك سمعنا شعارات مشابهة من جهة ورأينا سلوكيات لم نألّفها من جهة ثانية، كالثائم وحرق الاطارات حيث لاقوا في البداية تشجيعا

من الناس الذين يعتبرون ان وطنهم يضيع بسبب الهدر والفساد والسرقة.

- بعض الشباب تدرّب على التظاهرات في منظمات المجتمع المدني التي ينتمي اليها، وعلى استعمال وسائل التواصل الاجتماعي للرد على المنتقدين. وثمة تنسيقيات حاولت توجيه سلوكهم وتلقينهم فن الحراك مستفيدة من سوابق في البلدان المجاورة، منها القرع على الطناجر في الساعة الثامنة مساء والكر والفر وقطع الطرقات في وجه المواطنين، كأنهم يريدون بذلك تعطيل دورة الحياة اليومية ما لم تتحقق مطالبهم، كذلك رفضوا محاوراة السلطة التي يدعون الوقوف ضدها، وهذا ناتج من تعميم. كان الالاف رفض الحراك رفضا مطلقا محاوراة السلطة وانتفاء اي قيادة له. اما السلوك الاسوأ فكان

في عدم الاستماع الى الرأي الاخر كائنا من يكون، مع اتهامات جاهزة مسبقا بالتعامل مع اي معترض على سلوكهم. فلا مكان لديهم للرأي الاخر رغم ادعاء الديمقراطية، بل كان هناك محاولة لاجبار الاخرين على سماع ارائهم فقط ورفض الحوار مخافة الخسارة والانجرار الى التسوية. الالاف هو استعمال كلمات نابية من البعض الذين اتهموا بأنهم

شبان تحربوا على التظاهرات في منظمات المجتمع المدني



الباحثة في علم الاجتماع السياسي الدكتورة هدى رزق.

دخلاء على الحراك. هذه السلوكيات جعلت الناس ينفرون من الحراكيين باعتبار قطع الطرقات هو قطع لقمة عيشهم.

■ ماذا يريدون القول من خلال اعتماد هذه السلوكيات من دون غيرها من التعابير؟ □ اعتقد انهم يريدون الاعتراض وتحدي السلطة وضرب المحرمات الاجتماعية. هم يثورون على ما هو قائم ويتحدون العادات والتقاليد السائدة التي يعتبرونها بالية لاقامة مفاهيم اخرى تضرب السلطة القائمة التي يعتبرونها فاسدة.

■ اي واقع جديد سينتج من اعتماد هذه السلوكيات علنا امام شاشات التلفزيون بعد تعميمها على كل الساحات في لبنان؟

□ شاهد اللبنانيون عبر شاشات التلفزيون نماذج عن هذا الحراك في بعض الدول العربية في السنوات الاخيرة، لذلك هم حذرون بسبب النتائج التي عاشتها تلك الدول. ولا ننسى ان المتابعة الاعلامية لعبت دورا كبيرا في تعميم هذا الحراك عبر نقل الصورة مباشرة. في البداية، بدا الحراك سلميا وساد الرقص والغناء والهرج ما شجع بعض الشبان على النزول الى الساحات، علما ان معدل اعمارهم يتراوح بين 15 و30 عاما، عدا قلة كانت اعمارها تفوق هذه المعدلات. لا يغيب عن بالنا ان المراهقين والشباب هم الاكثر تأثرا بالجموع وترداد الشعارات والحماسة التي تتقد اكثر بوجود الجموع الهائلة والتي تشجع على الخروج عن النظام القمعي والابوي، فكل نظام هو

قمع بالنسبة اليهم، فكيف اذا كان هناك ازمة معلنة وقضية يخرجون الى الشارع من اجلها؟ كما ان ثقافة الصورة الرائجة والسباق الاعلامي المحموم على استقطاب الخبر والجماهير التي بدأت تعرض مشكلاتها الخاصة على شاشات التلفزيون، ادت الى المزيد من المشاركة. فالظهور على الشاشة هو معلم الناس، فكيف بالشباب الذي يحتاج الى التعبير عن آرائه والفضائيات تعمل على نشرها، عدا الاهتمام بالنقاط صور السيلفي التي انتشرت على صفحات التواصل الاجتماعي. فكان لا بد لبعض الفتيات من اظهار اناقتهن، والبعض الاخر من اظهار ثقافتهن ورفضهن لما هو قائم، مع انتشار منظمات المجتمع المدني النسوية التي طالبت بحق المرأة اللبنانية في اعطاء جنسيتها لاولادها. رأينا سوفا كبيرة من الافكار والمبادئ والشعارات والعلاقات الخاصة والعامة. كذلك استعمال الشائم والكلمات النابية والعصيان، الامر الذي احال الحراك بعد تخطيه يومه العاشر الى حراك تم اختراقه من قوى فوضوية ساهمت في تصويره عصيانا بعد تناوله قيادات سياسية بالسباب، نقلت مباشرة على شاشات التلفزيون.

■ كيف تتكون الشعارات التي كانت متطابقة مع بعضها البعض في كل ساحات لبنان؟ هل هي وليدة الساعة، في لحظة التظاهر وفي المكان نفسه، ام هناك زعيم لكل تظاهرة يدير المحتجين تحت عناوين يريدونها؟

□ لا شك في ان ثمة من يقف خلف الكواليس، وهناك توافق بين المجموعات على الشعارات والسياسات المعتمدة وعلى نفي وجود قائد خفا من الاختراق. لا ننسى مشهد الرقص والغناء والساحات الملهبة، الشبيه الى حد ما بالثورات الملونة التي تسقط الانظمة سلميا من دون عنف ظاهر، اي من دون سلاح، لكن عنفها يتم تدريجا. فكلما شعر هؤلاء الناس بأن السلطة لا تتجاوب مع مطالبهم لجأوا الى استعمال السباب، وهو العنف الرمزي



مكبر الصوت.

”
الثورات الملونة
وقودها الشباب من عمر
15 حتى 30 سنة
“

اعتقد انهم فوّتوا فرصا كثيرة من المحاسبة للحصول على مكتسبات مطلبية بدخولهم معترك التطرف وتصفية الحسابات كقطع الطرقات والتعدي على ارزاق الناس، وهذا مقتل الحراك. اضافة الى الاقفال المشبوه للمصارف التي تلاقي الحراك الذي اصبح مخترقا من القوى السياسية.

■ ما تحليلك الواقعي للمشهد اللبناني الاخير؟

□ المشهد الذي رأيناه شبيه الى حد ما بما شاهدناه في معظم الدول العربية، وبما سمي الربيع العربي. له ارضية الاحتجاجات المشروعة، لكنه يذكرنا برؤية البروفسور الاميري شارب الذي توفي العام الماضي (90 عاما) في بيته المتواضع في بوسطن. هذا الرجل الذي وضع دليل عمل الثورات الملونة واسقاط الحكومات التي تستهدف من خلال الانشطة اللاعنافية المنظمة من خلال الكلمات وليس السلاح. اسلوبه هو شق القوى الامنية عبر الضغوط الاجتماعية واللاعنفية، عبر استخدام السخرية كسلاح، وتوجيه الغضب عبر التركيز على السلطة الطاغية، وطرق الاواني في وقت اذاعة نشرة الاخبار الرئيسية، ودفع الحسناوات والاطفال والعجائز والمتقاعدات العسكريين الى مقدمة التظاهرات في الميادين العامة، واغلاق الطرقات، والقيادة ببطء شديد لخلق ازمات سير خانقة، وتوزيع الورد على الجنود، وعزف الموسيقى والرقص الماغن والاغاني البديئة، الى اقتحام المباني الرمزية واسقاط التماثيل، مع توفير نقل مباشر لمحطات التلفزة العالمية المعروفة بدعمها للثورات، وما الى ذلك مما ورد في وصفات شارب.



علم لبناني مع نشر الملابس.



وجهي... علمي.



الصراخ للتعبير.

”
هناك تنسيقيات حاولت
توجيه سلوك الشباب
وتلقينهم فن الحراك
“



بالهتافات.

لتصاعد حركة الاعتراض في الشارع لقطع الاعتراض عليهم. من الضروري الاشارة الى ان الشباب هم وقود الثورات الملونة من اعمار تتراوح ما بين 15 و30 عاما. هذا النوع من الثورات يقوم على دم الازمة الاقتصادية بهدف سياسي، تحديدا تغيير النظام كما حصل في اوكرانيا و صربيا وفي ايران في محاولة فاشلة عام 2009 حيث لم تحقق مآربها. تتخذ هذه التظاهرات ظاهرا عفويا لكنها منظمة ولها قواعد، واللافت هو توحيد الشعارات بين كل التظاهرات التي عمت الساحات في لبنان، وذلك بفضل القيادات التي تعمل على وسائل التواصل الاجتماعي. من دون شك، هناك مهمات وزعت فقط على القيادات المتدرجة التي تعرف بعضها البعض وتتفق مع بعضها البعض ايضا، وليس من الضروري ان تكون الاسماء معروفة. لكننا شاهدنا كيف اتق مدربون وحاضروا في كيفية الصمود امام رفض السلطة لمطلب اسقاط العهد.

التكفيريين والخلايا النائمة في البلاد لا تزال موجودة وهناك من يتربص بنا، علما ان هناك ايضا اكثر من مليون ونصف مليون لاجئ سوري يمكن استعمال البعض منهم. وقد عمد بعض المعارضين السوريين الى المشاركة في الحراك لكنهم كانوا قلة في المدينة، اضافة الى الشروط التي وضعتها قوى دولية مع تدخلها السافر في شكل تأليف الحكومة.

■ اي اساليب تعبير لجأ اليها المحتجون في الساحات ازعجتك كثيرا، ولماذا فقد هؤلاء القدرة على الاصغاء؟
□ في الحقيقة ما ازعجني هو عدم توحيد المطالب، واستغلال لحظة تنازل السلطة للمفاوضة للحصول على الافضل مع الاحتفاظ بالحراك والضغط في الشارع.

النزول الى الشارع بشكل منظم وموحد للمطالبة باستقالة هذه السلطة.
■ ما خطورة ما حصل؟

□ ربما ليس هناك خطورة، بل تنبيه الى ان الكيل قد طفح والسلطة لم تعد مؤهلة للحكم، وهي فشلت في الحدود الدنيا. في الوقت نفسه، عكس الوضع مخاطر اعتماد الوسائل العنيفة واختراق الشارع المعترض من الاحزاب السياسية التي نزلت الى الشارع لتصفية حسابات سياسية مزمنة مع بعضها البعض مستغلة الشارع المطليبي، ما ادى الى بداية العنف وقطع الطرقات واستعمال السباب والشتم والى محاولات لعزل المناطق. في البقاع مثلا، بدأ حمل السلاح والاستعراض المسلح. لا يغيب عن بالنا ان

اي دور لعبته وسائل التواصل الاجتماعي في تأجيج نفوس المحتجين، وكيف تم ذلك؟
□ كلنا انتقدنا مسار السلطة السياسية في معالجة المشكلات الحياتية. اعتقد ان جميع اللبنانيين كانوا قد فقدوا الثقة بالمرجعيات السياسية، لذا كانوا يعبرون عن غضبهم عبر وسائل التواصل الاجتماعي. هذه الوسائل احتوت غضب الناس وحنقهم وخوفهم من المستقبل. اعتقد انهم تداعوا الى الاجتماع والتنسيق من اجل جمع هذه المطالب في بوتقة واحدة، وعند اشتداد الازمة قرر الناس